مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

عملية طوفان الأقصى ... مشاهد مستقبلية

حسن فاضل سليم

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

عملية طوفان الأقصى ... مشاهد مستقبلية

حسن فاضل سليم*

الملخص

تُمثل عملية طوفان الأقصى عملية نوعية لحركة حماس تم فيها اختراق الدفاعات الصهيونية لأول مرة. حيث جرى القتال داخل المستوطنات الصهيونية، وذلك بعد أن كانت الحروب السابقة تجري داخل قطاع غزة. لذلك، فإن لهذه الحرب تداعياتها على فلسطين والكيان الصهيوني والمنطقة وما بعدها ليس كما قبلها، بالتالي تحاول هذه الورقة دراسة أهم المشاهد المستقبلية لهذه الحرب وما ستغيره من طبيعة الصراع العربي–الإسرائيلي. وما هي التغيرات التي يمكن أن تنجم عن نتائجها التي مازالت مجهولة حتى لحظة كتابة هذه السطور. ويمكن افتراض مجموعة من المشاهد المستقبلية للحرب وهي:

أولاً: مشهد انتصار حماس والتسوية على حدود 1967:

يفترض هذا المشهد أن تتمكن حماس من الانتصار في المعركة والتصدي للهجوم الإسرائيلي وأن تقوم بهجمات جديدة داخل المستوطنات الصهيونية في غزة التي انسحبت منها سابقاً. كما أنه يفترض أن يتوسع القتال ليشمل الضفة الغربية بشكل كامل إلى جانب قطاع غزة، مع سيطرة على مجموعة من المستوطنات الجديدة.

وعلى الرغم من انسحاب مقاتلي حماس من معظم المستوطنات في غزة، إلا أنهم لايزالون قادرين على تحديد هجماتهم داخل هذه المستوطنات. كما أنهم تمكنوا من خلال هذه العملية من تهجير أكبر عدد من المستوطنين في غزة.

إن القتال لأكثر من شهر هو أمر لم يتعود عليه جيش الاحتلال الذي بنى عقيدته العسكرية منذ سنين على مبدأ الحرب الخاطفة والضربة الاستباقية. لذلك، فهو غير قادر على التكيف مع التصدي لهجوم مباغت على أراضيه، وأن يكون في وضع دفاعي لمدة تزيد عن الشهر. وهو أمر قد يؤدي إلى انهيار الروح المعنوية للجندي الصهيوني مما قد يؤدي لخسارة الكيان الصهيوني لمناطق

* باحث في الشأن السياسي.

أكثر مما قد يضطره لاحقاً تحت ضغط العملية العسكرية والضغوط الدولية إلى وقف الحرب والقبول بالتفاوض ، إلا أن التفاوض من موقف ضعف قد يؤدي بقبول واقع جديد هو الأقرب للتحقق من وهو العودة إلى حدود عام 1967 والقبول بإزالة المستوطنات التي أقيمت خارج اطار هذه الحدود والانكفاء إلى الداخل، لاسيما أن المبادرات العربية وبعض المبادرات الدولية ترى أن حل الدولتين لن يتحقق إلا من خلال العودة إلى حدود العام 1967، إذ يعد هذا الحل أحد الشروط السعودية للقبول بالتطبيع، كما أنه يحظى بتأييد دولي من قبل الأمم المتحدة، إلا أنه تمت مواجهته سابقاً برفض إسرائيلي، وقياساً للواقع الميداني الحالي وقت كتابة هذه السطور فقد تراجعت إسرائيل عن شن حملة عسكرية شاملة على غزة وغيرت خطتها إلى عمليات برية محدودة وفقاً لتوصية المستشارين الأمريكيين، وذلك بعد أن أستنتج المسؤولين الأمريكيين وفقاً لتحليلهم للوضع الميداني عدم قدرة القوات الصهيونية على تحقيق أهدافها من القضاء على حركة حماس كما أنهم توقعوا أن يتسبب الهجوم الشامل على غزة بخسائر كبيرة للقوات الصهيونية، وما حفز الكيان على القبول بهذه المقترحات هو فشل قواته في الهجوم البري الأول على غزة في ليلة 28/10/ 2023 وتكبد تلك القوات خسائر فادحة.

إن ظروف الواقع الميداني قد تجبر الكيان الصهيوني على القبول بحل وقف أطلاق النار والتفاوض على إخراج كل الأسرى الفلسطينيين من السجون الصهيونية، مقابل إطلاق سراح جميع أسرى حماس. والقبول بوضع تقسيم جديد على الأرض وفقاً لحدود ما قبل عام 1967، مع احتمالية حصول تدخل لأطراف دولية كروسيا والصين في المفاوضات، وأن لا تهيمن الولايات المتحدة على إدارة عملية التفاوض بين الكيان والفلسطينيين، وقد أوصى المفكر الاستراتيجي الأمريكي (روبرت دي كابلان) بمقالة له على مجلة الأمن القومي (National interest) الإدارة الأمريكية بالضغط على إسرائيل للقبول بشكل من أشكال حل الدولتين وفقاً لحدود العام 1967 مع ضمان أن تسمح الولايات المتحدة لإسرائيل باستعادة الردع كما فعلت إدارة نيكسون عام 1973 عندما سمحت لإسرائيل باستعادة الردع نسبياً ومن ثم لجأت بعد ذلك للسلام وتنازلت عن أراضي استولت عليها بعد حرب عام 1963،[1] بالتالي وفقاً لهذا المشهد يمكن أن تكون النتائج هنا في غير صالح إسرائيل.

1 . Robert D. Kaplan, America Must Find a Way to Ensure Israel Crushes Hamas without Destroying Gaza, The National Interest Magazine, 23.10.2023, at URL: https://nationalinterest.org/blog/america-must-find-way-ensure-israel-crushes-hamas-without-destroying-gaza-207029

ثانياً: مشهد الاستمرار: يفترض هذا المشهد أن تضطر حماس مع تمكن الكيان من السيطرة على مستوطناته ومع استمرار ضرباته التي تستهدف المدنيين في قطاع غزة إلى التفاوض مع الكيان الصهيوني، إلا أنها مازالت حتى في حصول ذلك تملك الكثير من أوراق القوة منها وجود العديد من الأسرى الإسرائيليين الذين اسرتهم حماس يشكلون أداة قوية للتفاوض على الأسرى الفلسطينيين ويمكن من خلال المفاوضات أن تحرر حماس جميع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بما فيهم المقاومين مما يمدها بالمزيد من المقاتلين والقيادات الذي ستستفيد من امكانياتهم في أي مواجهة مستقبلية، وقد بدأت فعلاً قطر مساعي للتفاوض حول موضوع الأسرى وتجري حالياً وقت كتابة هذه السطور مفاوضات غير مباشرة بين حماس والكيان على صفقة لتبادل الأسرى، وقد كانت مطالب حماس هي ما سمته بـ(تبييض السجون الإسرائيلية) وهو ما يعني إفراغها من الأسرى الفلسطينيين.

وهذا المشهد لا يفترض أن تحصل تغييرات على الأرض لكن يفترض حصول تأثيرات كبيرة داخل الكيان الصهيوني بعد الحرب نتيجة للضربات التي تلقاها الكيان في مدنه وبناه التحتية من مطارات وابراج كهرباء، فضلاً عن الشلل الذي أصاب الكيان خلال فترة الحرب مما أدى لتوقف الأنشطة الاقتصادية الشاملة مما أحدث شللاً كاملاً في اقتصاد الكيان ، فضلاً عن الصدمة المجتمعية التي تعرض لها المجتمع الصهيوني نتيجة للتهجير الكبير والقتال داخل المستوطنات الصهيونية والقصف المستمر والخسائر الكبيرة التي تعرضوا لها كل ذلك يمكن أن يهدد وجود الكيان المثقل بالأزمات السياسية والانقسامات الحادة التي باتت تهدد وجوده مع تحذيرات السياسيين الحاليين والسابقين والمثقفين في الكيان من احتمال انهياره مع وصوله أو قبل وصوله إلى عقده الثامن.

بالتالي فإن مشهد استمرار الوضع الحالي بين القطاع والكيان لا يعني بالضرورة أن يكون الكيان الصهيوني بوضع أفضل مما قبل عملية «طوفان الأقصى»، والتي على الرغم الخسائر الفلسطينية الكبيرة في الأرواح، إلا أنهم يتمكنون وفقاً لهذا المشهد من الخروج بمكاسب سياسية واستراتيجية من المعركة.

وقد يكون هذا المشهد هو الأكثر ترجيحاً وفقاً للوضع الميداني الحالي.

ثالثاً: مشهد التصعيد وزوال قطاع غزة: وهو مشهد يستند إلى النوايا التي تبيتها إسرائيل من العملية العسكرية التي تسميها السيوف الحديدية، إذ أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي (يوآف

غالانت): «نفرض حصاراً كاملاً على مدينة غزة، لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق،» **نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً لذلك»**[2] .

مما يعني أن الكيان الصهيوني ينوي شن عملية إبادة جماعية ضد سكان القطاع، وهو ما يعد أحد مؤشرات هذا المشهد الذي يفترض أن يسعى الصهاينة إلى تطبيق ما تم الاتفاق عليه في صفقة القرن في عهد الرئيس الأمريكي ترامب من تهجير لأهالي قطاع غزة وإعادة توطينهم في سيناء، وفي حينها كان من المفترض أن يتم ذلك بشكل سلمي، أما اليوم فقد يسعى الكيان الصهيوني إلى تدمير القطاع بالكامل لإجبار الفلسطينيين على النزوح إلى الحدود المصرية من خلال ارتكاب المزيد من المجازر في المدنيين وتدمير أحياء سكنية كاملة وتسويتها في الأرض.

ولعل ما يدعم رغبة الكيان للقيام بعملية إزالة قطاع غزة هو رغبته في إقامة ما يعرف بـ(قناة بن غوريون) والتي يسعى الكيان الصهيوني إلى إقامتها على سواحل غزة ضمن مشروع طريق التجارة الجديد الذي أعلنت عنه الهند في قمة العشرين الماضية والذي يمتد من الهند إلى أوروبا، إذ تسعى الهند ومن خلفها الولايات المتحدة إلى جعله طريقاً بديلاً عن طريق الحرير الصيني.

وقناة بن غوريون هذه من المفترض أن ينتهي عندها الطريق ويتم إنشاء فيها ميناء صهيوني مما يجعلها قناة منافسة لقناة السويس المصرية، بفعل أن تربة سواحل غزة هي تربة صخرية لا تترك ترسبات تحتاج إلى كري مستمر بينما تربة قناة السويس رملية تترك الكثير من الترسبات التي تحتاج إلى عمليات كري مستمرة، مما يجعل ممر قناة بن غوريون أفضل بالنسبة للحركة التجارية العالمية من قناة السويس.

2 . رايتس ووتش: تصريحات غالانت عن الفلسطينيين «دعوة لارتكاب جرائم حرب"، وكالة الاناضول التركية، بتاريخ: 10/10/2023، على الرابط:
https://www.aa.com.tr/ar/اسرائيل/رايتس-ووتش-تصريحات-غالانت-عن-الفلسطينيين-دعوة-لارتكاب-جرائم-حرب

صورة رقم (1): خريطة مشروع قناة بن غوريون الصهيوني

المصدر: إسرائيل تسعى إلى خنق قناة السويس بأنشاء قناة بن غوريون، موقع قناة الجديد اللبنانية، على الرابط: hctaw/vt.deedajla.www//:sptth

لذلك يسعى الكيان الصهيوني إلى تجريف أراضي القطاع وتهجير الفلسطينيين فيها إلى سيناء لإقامة مشروع هذه القناة.

وفي حال تحقق هذا المشهد فإن حماس ستخسر حاضنتها الشعبية في القطاع، وسيكون من الصعب عليها تنفيذ عمليات جديدة ضد الكيان الصهيوني وستحتاج إلى وقت لبناء قاعدة وحاضنة شعبية جديدة، كما أن هذا المشهد لا يعني أن القوات الصهيونية لن تستهدف حماس داخل أراضي سيناء، مما سيعرض الأمن القومي المصري للخطر.

إلا أنه وبالرغم من مصداقية هذا المشهد من خلال سياسات التدمير الصهيونية في القطاع والتهديدات على لسان مسؤولي الكيان، إلا أن الدول العربية ومن بينها مصر والسعودية والأردن وهي الدول التي كان من المفترض أن يتم فيها إعادة توطين سكان قطاع غزة وفقاً للخطط الأمريكية- الإسرائيلية ترفض هذا المشروع، ومع ذلك ورغم قساوة هذا المشهد فإن الرفض الإقليمي

والدولي له وكذلك مقاومة حماس الشديدة على حدود القطاع يمكن أن يؤدي إلى إلغاء تحقق هذا المشهد.

ويشير نشر الولايات المتحدة فضلاً عن عدد من الدول الغربية لقواتهم إلى خشية هذه الدول من أن ينفجر الصراع ويتحول إلى حرب إقليمية، وهم بذلك يرسلون رسائل ردع إلى إيران وحلفائها، على الرغم من أن ذلك لم يؤدي إلى إيقاف الهجمات على القواعد الأمريكية في العراق وسوريا.

بالتالي، تمكنت آلة التدمير الصهيونية من إجبار عدد كبير من سكان غزة على اللجوء إلى المناطق القريبة من سيناء. إلا أنها رغم ذلك استهدفت قوافل اللاجئين في مسعى واضح لشن حملة إبادة جماعية ضد سكان القطاع. بعد فشل جيش الاحتلال في التصدي لحركة حماس أو تحقيق نصر ميداني حقيقي عليها، كما أن المؤشرات الميدانية تشير إلى احتمال أن يقع الجيش الصهيوني في فخ كبير في قطاع غزة يؤدي إلى هزيمة كبيرة لا يمكن تقبلها من قبل الداخل الإسرائيلي. وحتى مع الدعم الدولي مازال قطاع غزة منطقة غامضة بالنسبة للقوات الصهيونية والغربية، فضلاً عن أن الهجوم على القطاع وما يستدعيه من احتمالات التصعيد في المنطقة قد يردع الكيان الصهيوني وحلفاءه الغربيين عن التفكير في خوض مغامرة انهاء وجود الفلسطينيين في القطاع او تهجيرهم.